

## دور علماء برنو في نشر الثقافة العربية والإسلامية الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني نموذجاً

أحمد عمر بشير

### مقدمة

إن اللغة العربية والدراسات الإسلامية عنصران مهمان من عناصر تكوين ثقافة الفرد والمجتمع، ولكل منها دور فاعل، يقوم به في ميدانه، فاللغة العربية أساس في فهم أصول الدين الإسلامي، والإسلام أساس في تصحيح المفاهيم وتقويم الأسلوب، فهذان ميدانان واسعان يقوي أحدهما الآخر، ويكملان بعضهما البعض، فاللغة العربية مرت ولا تزال تمر بمراحل مختلفة ووسائل عديدة، عبر العصور في غربي إفريقيا عامة وفي برنو بجمهورية نيجيريا خاصة، حيث ندرك بكل جلاء أنها لعبت دوراً في كل المراحل لتحقيق ما يجب تحقيقه نحو نشر الثقافة العربية والإسلامية، لسيورتها في كل وقت، ولها إمكانية كاملة للتكيف مع البيئة الجديدة، ولها من المفردات ما يعطي المصطلحات العلمية والأدبية والتقنية الحديثة الكثيرة والمفيدة، وهي أداة التخاطب والتفاهم والتدريس عبر المراحل العلمية في جميع الأدوار. فالشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني (مفتي جمهورية نيجيريا) من أوائل الذين قاموا بنشر الثقافة العربية والإسلامية في ولاية برنو عامة وفي نيجيريا وما جاورها خاصة، فهذه المقالة المتواضعة محاولة لتسجيل دور علماء برنو في نشر الثقافة العربية الإسلامية، تحت عنوان «دور علماء برنو في نشر الثقافة العربية والإسلامية - الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني نموذجاً».

تتناول هذه المقالة بعد المقدمة النقاط التالية:-

- نبذة تاريخية عن ولاية برنو بجمهورية نيجيريا الفدرالية.
  - اللغة العربية وأهميتها في برنو.
  - دور العلماء في نشر الثقافة العربية والإسلامية في برنو.
  - لمحة عن حياة الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني.
  - إسهاماته في نشر الثقافة العربية والإسلامية.
  - آثاره ومؤلفاته.
  - الخاتمة.
  - الهوامش.
- وفيما يلي مناقشة هذه النقاط واحدة تلو الأخرى.

### نبذة تاريخية عن برنو، نيجيريا

تقع هذه المملكة إلى الشرق من برنو الحالية في منطقة بحيرة تشاد، وهي من أقدم الممالك وأوسعها في غربي إفريقيا ووسطها في العصور الغابرة، وهي عامرة بالسكان وذات

سكان كانم برنو من العرب والبربر والفلانين، وأن أصلهم من الشرق استوطنوا إفريقيا من أرض الحبشة، ثم جاءوا إلى كانم برنو واستوطنوها مع ما فيها من السكان كالتوارق وغيرها من القبائل (٢). وتقول رواية أخرى إن سيف بن ذي يزن وهو بطل من أبطال

أنهار وأشجار ورمال واسعة، ولم يكن في نيجيريا أوسع منها مساحة، وأكثر منها عمارة (١). ولا يعرف تاريخ تأسيس هذه المملكة بالتحديد، إلا أنه من المؤكد أنها كانت موجودة قبل القرن التاسع الميلادي. ويذكر محمد بلو أن

وتوغل فيها بجيوشه الجرارة وظل يفتك أهلها لأجل الفساد المتفشي بينهم آنذاك وقد وصفها لهم هذه شاعرهم المسمى بالرقيامي، حيث يقول (١٠):  
لما فشى الظلم بذى البرنوح وعمم العصيان كل الروح

فأرسل الله إليهم رابحا  
من أرض خرطوم أتاها فأتحا  
لا تعجبوا رابحكم فيما فعل  
بل فاعجبوا قبيحكم من العمل  
عطاؤه في الناس كالثجاج

وفعله في الناس كالثجاج (١١)  
ولم يستطع السلطان رده، بل كاد أن يستولى على المملكة بأسرها لولا اصطد أمه مع القوات الفرنسية الغازية، وهي الأخرى حين قتلته، قداحتلت الجزء الشرقي من البحيرة، وهو ما كان يسمى بكانم، كما اختل الإنجليز منطقة برنو، التي تعرف اليوم باسم ولاية برنو، وهي إحدى الولايات في جمهورية نيجيريا الفدرالية (١٢).

وأما عن موقع برنو الحالية فإنها من ضمن الولايات النيجيرية التي تحت سيطرة الحكومة الفدرالية، وليس لمولكها ذلك النفوذ الذي كان يتمتع به ملوك برنو القدماء قبل الاستعمار، فبرنو القديمة عبارة عن مملكة واسعة متسقة - كما أشار إليها الباحث سابقاً - خلاف ولاية برنو التي ظل ملوكها خاضعين لسلطة الحكومة، ولكنهم مع ذلك يحظون بشعبية عظيمة من قبل شعوب المنطقة (١٣).

وجملة القول: فإن مملكة برنو التي سبق الحديث عنها أصبحت تعد اليوم إحدى الولايات الست والثلاثين

الجديدة ثورة إصلاحية كبرى شملت نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية والإقتصادية، وقد نجح السلطان أومي جلمي في تلك المهمة واستطاع تثبيت دعائم الإسلام في بلاده، وقد صار الأمراء على منوال هذا السلطان في نشر الثقافة العربية والإسلامية ومحاربة الشرك (٧).

وعلى هذا الأساس انتقل مجتمع كانم برنو من الحياة البدائية والتخلف إلى الحضرة والرقي وانفتحت الآفاق الواسعة أمامهم للتعاون مع شعوب العالم الإسلامي، والأخذ من حضارته والإرتحال من أجل طلب العلم والتلمذ على يد الأساتذة الأجلاء في مصر والحجار والقيروان وبلاد المغرب (٨).

لقد بلغت برنو ذروة في مجدها في عهد الماي علي بن زينب المعروف بعلي غاجي الذي حكم ما بين عام (١٤٧٢-١٥٠٤م) الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للمملكة، وفي عهده استطاعت المملكة أن تبسط نفوذها على شرق بحيرة تشاد من جديد وبذلك تم توحيد كانم برنو في مملكة واحدة (٩).

وكأي كائن حي لا بد أن يعتريه الضعف بعد القوة والعظمة فإن إمبراطورية كانم برنو دب في أجزائها الضعف حين أطلت الفتنة على حكامها ولم تفارقها إلى أن ذهبت ريحها، وصدق الله القائل **وَتَلَكُ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** **آل عمران: ١٤٠** وقال تعالى **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** **القصص: ٨٨**.

والجددير بالذكر أن رابح بن فضل الله قد دخل هذه البلاد عام ١٩٠٠م

العرب هاجر هو وجماعته إلى تلك المنطقة واستولوا على شعوبها فأصبحوا ملوكاً (٢) لهم، ويرى بعض المؤرخين أن أصل ملوكها من البربر والمسلمين الذين يعرفون بالزغاوا، وقد هاجروا إليها عام ٨٠٠م تقريباً (٤).

هذه الروايات كلها تتفق على أن عدداً من المهاجرين قد دخلوا تلك البلاد واستولوا على شعوبها وتمكنوا من ضم الشعوب وتوحيدهم واستطاعوا أن يكونوا مملكة أصبحت بالتدريج قوية.

أصبحت مملكة كانم برنو دولة إسلامية منذ القرن الحادي عشر الميلادي حين دخل ملكها «حمي جلمي» الإسلام، وقد قيل أنه غير اسمه إلى محمد بن جبل، وقيل إلى عبد الجليل عبدالله، كما قيل أيضاً أنه أسلم على يد الداعية الشهير محمد بل ماني، الذي استطاع اقتناعه بعد قدومه إلى البلد بخمسة أعوام فقربه إليه الملك ومنحه محرماً، وذلك لما قام به من الأعمال المثمرة في نشر الثقافة العربية والإسلامية في الدولة (٥).

وكان لسلاطين كانم برنو دور بارز في نشر الثقافة العربية والإسلامية بين أمم السودان الغربي والأوسط، ويأتي على مقدمتهم السلطان أومي جلمي الذي كان أول من اعتنق الإسلام من سلاطين برنو، وإليه يعود الفضل في إقامة دولة إسلامية على أسس متينة من القيم الأخلاقية والقوانين المستمدة من القرآن الكريم والسنة المحمدية (٦).

ويعتبر الإسلام في حياتهم

القرآن وعلومه، وبعد أن صارت دولة إسلامية، فقد أضحى الدين الإسلامي بثقافته الراقية عصب قوتها الروحية والمادية، فأصبحت اللغة العربية هي لغة التخاطب والمعاهدات بينها وبين الدول الإسلامية، وكذلك أصبحت اللغة العربية لغة رسمية في إدارة الدولة، حيث شجع السلاطين العلماء ومنحهم الكثير من الامتيازات. ومن هنا اهتموا بالتعلم والتعليم في مجالات مختلفة، وفي هذه الفترة نلاحظ كثرة مراكز العلم، ومنابع الثقافة العربية قد عمت المنطقة، وبلغت برنو ما بلغت من الرقي والتقدم في الحركة العلمية والأدبية. (١٦)

وقد كان هناك اتصالات فكرية بعيدة المدى بين برنو وغيرها من البلاد الإسلامية، وخاصة مصر، فالطلاب من برنو عبروا الصحراء إلى الأزهر الشريف، حيث درس الكثير منهم على أيدي مشاهير العلماء المصريين آنذاك، حتى كان لهم رواق بالأزهر الشريف يجمعهم يعرف برواق برنو، وبهذه العلاقات اتصلت بأرقى الحضارات الإنسانية المعاصرة وهي الحضارة الإسلامية العربية، فيسر لها سبل التقدم والازدهار، يقول أوكور «عندما جاء الإستعمار الأوربي إلى غرب افريقية في القرن التاسع عشر، كان المثقفون الافريقيون يكتبون ويقرأون باللغة العربية وكان جميع المدونات والسجلات التاريخية مكتوبة باللغة العربية» (١٧).

وبعد أن احتل المستعمرون البريطانيون نيجيريا عام ١٩٠٠م

على من يحبها ومن لا يحبها ولا تزال البريطانية وما وراءها من الدول تحاول فرض سيطرة لغتها على الأمم المختلفة، ولكن الله لم يشأ ذلك لهم، فما من مسلم إلا وهو يتعصب ولو قليلاً من اللغة العربية بدافع العقيدة أو بدافع الإيمان أو بدافع العبادة أو بدافع النسك. ومن هذه العقيدة امتدت العربية امتداد الإسلام في ربوع العالم بعد أن كانت محدودة في شبه جزيرة العرب، وبعض أطراف الشام والعراق قبل الإسلام (١٥).

وبفضل الإسلام انتشرت العربية فيما لا يقل عن ربع قرن من الزمن حتى تغلبت على الرومية في الشام وعلى القبطية في مصر وعلى البربرية في افريقية، وعلى التركية في آسيا الصغرى وعلى الأردية في الهند، واكتسبت اللغة العربية أهمية كبرى بفضل ارتباطها بالدين الإسلامي، إذ نزل القرآن الكريم بها وهي لغة الحديث الشريف، ولم تعد العربية تراث العرب وحدهم بل تراث المسلمين جميعاً بخلاف اللغات الأخرى، كالإنجليزية والفرنسية.

وعند العودة إلى برنو تحققت هذه الظاهرة في تاريخها، إذ تشير المصادر التاريخية إلى أن الثقافة العربية قد انتشرت وازدهرت ازدهاراً واسعاً بجانب الدين الإسلامي، حيث كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية - قبل مجيء الإستعمار - بها تصدر المراسيم، وجميع المراسلات والمكاتبات، وسواء في الشؤون الداخلية أم العلاقات الخارجية، كما أنها قد نالت شهرة فائقة في العلوم الإسلامية ولاسيما

في دولة نيجيرية الفدرالية وتقع شمال شرقي الدولة، وتحدها من جهة الشمال جمهورية النيجر ومن الشرق جمهورية تشاد ومن الجنوب الشرقي جمهورية الكامرون، وبرنو هي الولاية الفذة التي تشترك حدودها مع ثلاثة دول خارجية من بين الولايات النيجيرية.

### اللغة العربية وأهميتها في برنو:

من المعلوم أن الإسلام كلما وضع قدمه في أرض تدخل معه اللغة العربية، إذ يجب على كل مسلم أن يتعلم قدرأ يسيراً من القرآن الكريم لأداء فرائضه التعبدية فيتعلم بعض الآيات والسور وبعض المصطلحات الإسلامية باللغة العربية.

فاللغة العربية أداة التفاهم بين الأسرة الواحدة والشعب الواحد والأمة الواحدة وهي أول وسيلة لتحصيل الثقافة وتكوين الحضارة، لأن اللغة هي الوسيلة المباشرة لنقل الشعور والعواطف من ذهن هذا إلى ذهن هذا ومن شخص إلى شخص آخر، والمسلمون من مشارق الأرض ومغاربها ثقافتهم واحدة مبنية على القرآن الكريم والسنة الشريفة، وأداتها هي اللغة العربية لا يتخلف فيها عربهم وعجمهم، لذلك ظلوا أمة لا مثيل لها في علم العقيدة وعلم الاجتماع (١٤).

وقد حاولت كل أمة من أمم العالم أن تفرض لغتها على سائر الأمم، ولم تجد لذلك مبرراً سوى شهوة الفتح والسيطرة، ومع ذلك ظلت بريطانيا تتفق الغالي والنفيس في فرض لغتها

العمل السلطان أومي جلمي الذي تتلمذ عن العالم محمد بن ماني، والسلطان عبدالله بيكور الذي تتلمذ على العالم دركوما إبراهيم والسلطان علي غاجي ودنامه الذي تتلمذ على العالم كادي أحمد وغيرهم (٢٠).

إن السنة التي سنّها العالم محمد بن ماني في تعليم الحكام، والمحرّم الذي منح لهذا العالم أصبح من الظواهر البارزة في تاريخ الثقافة العربية والإسلامية، في دولة برنو في القرن الحادي عشر الميلادي.

كانت بلاد برنو على مرّ العصور متلقى لكثير من العلماء في مختلف الجهات والجنسيات ووجدوا لدى الشعب البرناوي المضيف كرم العيش وحسن الإقامة، وكان للعلماء مكانة إجتماعية عالية لدى عامة الشعب ودور توجيهي خطير ومشاركة فاعلة في الحركات الإصلاحية، فأحبهم السلاطين والأمراء والوزراء، ويعتمدون عليهم كثيراً في إصدار الفتاوى الدينية، سجل التاريخ أعمالاً عظيمة لهؤلاء العلماء في مجال التعليم والإرشاد والتأليف، أمثال: عمر بن عثمان وابن فرتوا ومحمد البكري والباركوم والطاهر الفلاني ومحمد الأمين الكانمي (٢١).

وصل علماء برنو إلى مستوى علمي جيد مكنتهم من منح إجازات علمية لتلاميذهم الذين أتقنوا بعض العلوم على أيديهم، وكانت الثقافة العربية الإسلامية في معظمها بذرة مغربية في تربة افريقية، وذلك بحكم الجوار والعلاقات الطيبة، وكان العلماء في

كبيرة في برنو بفضل ارتباطها بالدين إذ نزل القرآن الكريم بها وهي لغة الحديث الشريف، ومن هذا المنطلق أصبح للعربية مكانة عظيمة لدى المسلمين في هذه المملكة لأنها لغة الإسلام، وقد استخدمتها المملكة في مدة تزيد على تسعة قرون حتى أصبحت إحدى اللغات الأوسع استخداماً في المنطقة، وفي الوقت الحالي اهتمت برنو بتعليم اللغة العربية سواء لأسباب دينية أو سياسية أو اقتصادية، وهي لغة العلم والأدب والسياسة والحضارة فضلاً عن كونها لغة الدين والعبادة. قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجرات:٩.

### دور العلماء في نشر الثقافة العربية والإسلامية في برنو:

يرجع تاريخ انتشار الثقافة العربية في برنو إلى القرن الحادي عشر الميلادي حينما ظهر الإسلام واللغة العربية في المملكة، وظل التعليم العربي يتقدم قرناً لقرن في برنو والأقاليم المجاورة لها من البلدان التي تطلق عليها اسم نيجيريا، وكانت اللغة تقوم بدور فاعل في ميدان السياسة والإقتصاد والثقافة في المملكة.

ومن الظواهر الطيبة أن كثيراً من سلاطين برنو أقبلوا على التعليم ورتبوا لأنفسهم كبار العلماء لتعليمهم والصلاة بهم في مساجدهم الخاصة داخل قصورهم، وجلبوا إلى بلادهم العلماء من كل البلاد الإسلامية المجاورة للتدريس والوعظ والإرشاد، ومن السلاطين الذين استهروا بهذا

أدخلوا التعليم الغربي حتى أصبح ينافس التعليم العربي الإسلامي، وشجعوا الثقافة الغربية الحديثة وأهملوا الثقافة العربية الإسلامية التي كانت موجودة في البلاد، واستولوا على المناطق الشمالية التي تقع فيها مملكة برنو و سكوتو حيث وجد فيهما أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية، وهي لغة المعاملات والإقتصاد والتجارة، وتعليم القرآن الكريم والسنة النبوية، لذلك حاول المستعمرون بكل ما يستطيعون من قوة أن يستبدلوا باللغة الإنجليزية، لذلك جعلوا لغتهم هي اللغة الرسمية في التخاطب والتعليم وأمور الدولة، وأصبحت الدواوين كلها تستعمل باللغة الإنجليزية بدلاً من اللغة العربية إلا في المدارس الشرعية، وهذا ما يفعله المستعمر الغاشم في كل البلاد التي يحتلها، وليس في برنو وحدها (١٨).

حارب المستعمر أيضاً اللغات المحلية كلفة هوسا والكانورية والفلانية التي تكتب بالحروف العربية، فاستبدلوا الحروف العربية بالحروف اللاتينية في المدارس وجعلوا التلاميذ يتعلمون القراءة والكتابة بلغاتهم المحلية ولكن بالحروف اللاتينية وليس بالحروف العربية. قام المستعمرون بتعليم طائفة من الموظفين لحمل أعباء الأعمال الحكومية فقط، وليس المقصود من تعليمهم في المدارس الحصول على الثقافة العلمية التي يستفيدون منها، فالمعلومات التي يحصلونها في المدارس ضئيلة تكفي فقط للقيام ببعض الأعمال الإدارية البسيطة (١٩).

إن اللغة العربية اكتسبت أهمية

جاءت بتغيرات أساسية عن نظامها العام، مثل: التوقيت والمواد الدراسية والمكان والوسائل التعليمية (٢٦).  
ولبعض العلماء في برنو أثر ملموس في هذا الميدان، أمثال: الشيخ العلامة محمد غبريم الداغري، والشيخ محمد عينوم الغيدمي والشيخ أحمد علي أبو الفتح والشيخ أبوبكر المسكين والشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني. وكان لهؤلاء العلماء دور كبير في نشر الثقافة العربية والإسلامية وأصبحوا كعبة يغشاها طلاب العلم من كل البلاد المجاورة.

### لمحة عن حياة الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني؛ مولده ونشأته؛

ولد الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني ليلة الخامس عشر من جمادى الأولى عام ١٢٥٩هـ الموافق الثاني عشر من يوليو عام ١٩٢٨م في قرية تسمى أريديبي من قرى ديكوا عاصمة برنو القديمة بجمهورية نيجيريا (٢٧).

### نشأته؛

نشأ الشيخ في حجر والده حيث رباه تربية إسلامية، كما هو معلوم في بلدنا هذا - برنو - من اعتناء الآباء وأولياء الأمور بتربية أبنائهم تربية إسلامية، وعلى كل طالب علم أن يبدأ بقراءة القرآن الكريم، ثم بعدها يتبعها بطلب العلوم الأخرى، وهو ما فعله الشيخ، وبعد وفاة والده استمر في قراءة القرآن على أيدي المشايخ إلى أن حفظه على ظهر قلبه وجوده تجويداً، طرق باب

حياة كالمستشرقين في الجامعات الغربية (٢٣).

هذا إن دل على شيء فإنما يدل على تأثير العلمانية التي أطلق عليها المستعمر بعلمانية الدولة أي فصل كل شيء عن الدين ليبقى علماً مدنياً بحتاً. لقد عمل المستعمر البغيض على الاستخفاف بكل ما يمت إلى اللغة العربية والدراسات الإسلامية بصلة، لإشعار المتخصصين بهما بالنقص في المجال الذي تخصصوا فيه، بداية من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية، لقد تحرر كثير من الناس من هذا الشعور إلا أنه يوجد في المجتمع العربي من لا يزال يشعر بهذا النقص منذ إخراج العربية من الدواوين في برنو (٢٤).

أدخلت اللغة العربية والدراسات الإسلامية في المواد التي كانت تدرس في المدارس الحكومية الحديثة التي أسسها المستعمر استجابة لرغبة الأمراء وإرضاء للآباء، لكن الحكومة بعد إدخال هاتين المادتين لم تقم بفعل أي شيء يساعد على نشر هذه اللغة وبث الثقافة الإسلامية في تلك المدارس كما كانت تفعل في بقية المواد فأصاب المادتين روح الجمود بين المواد الأخرى (٢٥).

ولما رأى بعض العلماء النظام الجديد الذي جاء به المستعمرون في تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية ذهبوا إلى الشرق لتعلم طرق جديدة فأسسوا المدارس العربية الحديثة. وهذه المدارس تختلف في مناهجها وأسلوبها عن المدارس التقليدية، لأنها

حركة دائبة بين المغرب وبلاد برنو، وبين بلدان غرب افريقية فيما بينها، وقد أثمرت هذه العلاقات عن ظهور علماء كبار ساعدوا في نشر الثقافة العربية والإسلامية، أمثال: العالم المغيلي والبليالي والأنصمني والعالم ولديد وأحمد بن فرتوا ومحمود كعب والشيخ محمد الأمين الكانمي وغيرهم (٢٢).  
وبذلك اختلف تاريخ بلاد برنو عن البلاد الافريقية الأخرى المجاورة لها والتي انتشر فيها الإسلام، بلغات غير اللغة العربية: كالولوف في السنغال والفولانية في بلاد الهوسا والسواحلي في كينيا وتزانيا، إذ لم تستطع تلك الشعوب تدوين تاريخها القديم لعدم وجود لغة مكتوبة لديها.

لم تزل العربية تقوي مع قوة الإسلام وتضعف مع ضعفه، في كل ناحية يوجد فيها المد والانتشار والاندثار، فكانت مملكة برنو مع البقاع التي أشربت قلوب أهلها حب العربية، حتى ظهر فيهم أعلام يسجل التاريخ أقلامهم في الفنون المختلفة منذ تسعة قرون مضت إلى أن دخل الاستعمار هذه المنطقة فتشعب تعليم العربية إلى ثلاثة شعب، وهي:-

الأولى: شعبة من يتعلم منها ما يكفيه للقيام بالأمور الدينية الضرورية في مدارس القرآن والكتاتيب أو ما يماثلها من المدارس الإعدادية والثانوية والإنجليزية.

الثانية: شعبة من يتخصص فيها للتعلم في الدين كالفقه وغيرهم من العلماء.

الثالثة: شعبة من يتعلمها كلفة

المعهد قائماً حيث خرّج العديد من الطلاب، وأصبح كثير من المتخرجين فيه قضاة ومدرسين في المعاهد العليا وموظفين في الإدارات الحكومية العامة (٢٢).

## ٢ / جماعة النهضة الإسلامية العالمية :

ومن نشاطات الشيخ الشريف في نشر الثقافة العربية والدعوة إلى الله تعالى تأسيسه لجماعة النهضة الإسلامية وقد سجلت رسمياً عام ١٤٠٢هـ الموافق ١٩٨٢م وهي مشهورة داخل الدولة - نيجيريا - وخارجها.

وتهدف هذه المنظمة إلى توحيد صفوف المسلمين ونيل الخلافات الدائرة بينهم تطبيقاً لقوله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ آل عمران: ١٠٣، وتوعية أبناء المسلمين وطردهم الجهل بينهم، وبتأسيس هذه الجمعية استطاع الشيخ تنظيم المحاضرات وإلقاء الخطب الدينية وبث الروح المعنوية في صفوف المسلمين وإبعادهم عن العناد والظلم والكسل، حتى يصبحوا أعضاء في مجتمع إسلامي صالح ومتقنين بثقافتين عربية وإسلامية. وتتكون هذه المؤسسة من مجلسين:-

أ/ مجلس تنفيذي.  
ب/ مجلس الشورى، ولكل واحد من المجلسين مهمة خاصة يقوم بها (٢٣).

## ٣ / مجال التعليم والتدريس :

لقد ظل الشيخ معلماً ومرشداً

محاسن ليلي القلب واللب وتذكارها من بارد الماء ملتد قد استأصل المحبوب كل شوائب تذكر أو هام البغات ومالند ففارق جسمي صحة وتلند وقد بان لي في دانه كل ماخذ

إلى أن قال:

وفيضك عذب دائماً يتدفق فانشوبه ما عشت دهر تلند شريف أصيل طيب ذو مكارم وقد طاب لي فيه الفضا متلند (٣٠)

## إسهاماته في نشر الثقافة العربية والإسلامية :

قد قام الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني بنشاطات تجاه المساهمات في نشر الثقافة العربية والإسلامية، فأسس العديد من المعاهد الدينية، منها:-

## ١ / معهد النهضة الإسلامي :

لما أدرك الشيخ أن مجتمعه متعطش إلى تعليم الثقافة العربية والإسلامية وتنقيته من الأفكار النصرانية الإستعمارية المدسوسة في التعليم المدني الرسمي اضطر إلى تأسيس معهد ديني عام ١٩٥٧م، لتخريج شباب متقنين يساهمون في نشر الثقافة العربية والإسلامية بين مجتمعه، والعمل في المجالات المتعددة في الدولة (٢١).

وكان هو المدرس الأول لهذه المؤسسة، حيث درّس فيها اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي، وما زال

العلوم الأخرى، فبدأ بقراءة مختصر الأخرى ومتمت السماوي من ناحية الفقه، ثم كتاب جامع زبد العقائد في التوحيد، وأخذ هذه الكتب عن صديقه وأخيه محمد البشير، وبعد هذا درس كتب عدة في الفقه المالكي، منها: رسالة ابن أبي زيد القيرواني ومختصر خليل وبعض الدروس الأخرى في المعاملات والقضاء، ودرس كذلك النحو والصرف والبلاغة والعروض والأدب في اللغة العربية، وبعد هذا سلك الشيخ فجاج المعرفة في البلاد العربية طلباً للعلم، وجال في مدنها وقرأها، حيث التقى بمختلف العلماء في تلك البلاد وأخذ عنهم العلوم في شتى الفنون (٢٨).

لقد كان للشيخ مكانة عالية بين علماء عصره ويتضح هذا جلياً في الأقوال التي قالها الشيخ في شتى البلدان حول منزلته عندهم، قال الشيخ موسى عبدالله مادحاً له:-  
شمس المعارف بالمعارف زاحمت

وتكشفت بالنور والإشراق  
أم تفتحت الأنوار والاسرار من  
تلقاء يروة بتبسم العشاق

إلى قال:

قطب الزمان فليس يوجد مثله  
شرقاً وغرباً نوره بساق  
هو غوث إبراهيم نجل الصالح  
يا شيخنا بهجة الآفاق

وقد مدحه الشيخ الحاج يعقوب يونس التجاني إمام المسجد الجامع للشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني، حيث قال:

مطبوع.

٢. تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم برنو، كتبه عام ١٩٧٦م مطبوع.
  ٣. التكفير أخطر بدعة تهدد الوحدة والسلامة بين المسلمين في نيجيريا ألفه عام ١٩٨٢م مطبوع.
  ٤. أزمة الخليج وأثرها على العالم الإسلامي، ألفه عام ١٩٩٠م مطبوع.
  ٥. الأبعاد التاريخية ألفه عام ١٩٩٢م مطبوع.
  ٦. ضرورة التعامل مع البنوك ألفه عام ١٩٩٢م مطبوع.
  ٧. الإسلام والتعايش السلمي بين الشعوب ألفه عام ١٩٩٤م مطبوع.
  ٨. ميزان التفاوت بين التواضع والتماوت ألفه عام ١٩٩٤م مطبوع.
  ٩. الإسلام والتوجهات السياسية في نيجيريا ألفه عام ١٩٩٩م مطبوع.
  ١٠. الوظيفة الإجتماعية للمال في الإسلام ألفه عام ١٩٩٩م مطبوع (٢٨).
- ويعد كذلك الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني نواة للتواصل الثقافي، فقد نبغ في قرض الشعر وعبر عن تجربته الشعرية بأسلوب شيق بزّ فيها أقرانه في ولاية برنو، لقد نظم الشعر في أغراض عديدة، منها: في المدح والرتاء، والتوسل والإستغاثة، أضف إلى ذلك شعره التعليمي. وله قصائد في السيرة النبوية وسيرة الشيخ محمد الأمين الكانمي، وله قصيدة في جريمة إحراق المسجد الأقصى التي قام بها اليهود.

### آثاره ومؤلفاته:

- أن للشيخ الشريف آثار في نشر الثقافة العربية والإسلامية في مختلف المراحل التعليمية من الابتدائية إلى الجامعة في ولاية برنو خاصة وبقية ولايات شمال نيجيريا عامة، فعلى سبيل المثال نجد حوالي ثلاثين منهم يساهمون في مجال التدريس في كلية محمد غوني للشريعة والقانون ميدغري بولاية برنو، وخمسة منهم في قرية اللغة العربية وخمسة عشر منهم محاضرون في جامعة ميدغري وغيرها كما يساهمون في ميادين أخرى مختلفة على مستوى الدولة، مثل القضاء وبقية الخدمات المدنية بل حتى الأمن بمختلف أنواعه (٢٧).
- لقد ساهم الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني بتأليف كتب كثيرة في مجال الثقافة العربية والإسلامية في مختلف الفنون، منها ما هو مطبوع، ومنها مخطوط، فأول كتاب ألفه الشيخ كتاب «النور الأبهر» في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان هذا في عام ١٩٥٩م. أما الكتب التي ألفها جملة فقد بلغت مائتين كتاباً تشمل مواضيع مختلفة في علوم القرآن والحديث الشريف والفقه وأصول الفقه والموارث والبلاغة والنحو والصرف والأدب والسيرة والتاريخ والإقتصاد والتصوف الإسلامي، وفي نقد المذاهب المادية القديمة والمعاصرة وغيرها من الموضوعات التي تمس حياة المسلم المعاصرة، ونذكر بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر:-
١. النهج الحميد فيما يجب على المقدم والمريد، ألفه عام ١٩٧٥م

منذ عام ١٩٧٠م يلقي دروساً في العلوم الإسلامية والعربية، وكان يقوم بتدريس كتب الفقه المؤلفة في هذه البلاد -نيجيريا- مضيفاً إلى ذلك الكتب المعتمد عليها في دراسة التفسير والحديث ودراسة اللغة وقواعدها. منها:-

- تفسير القرآن الكريم: كان الشيخ يفسر معاني القرآن الكريم بلغة الهوسا لأعضاء الحكومة الفدرالية في جمهورية نيجيريا في العاصمة لاغوس آنذاك، وذلك ما بين عام ١٩٧٦-١٩٨٨م، وأيضاً يقوم بذلك في مسجده العامر بمدينة ميدغري (٢٤).
  - الحديث الشريف: وقد درس الشيخ فيه كتباً عديدة، منها: كتاب رياض الصالحين للإمام النووي، وصحيح البخاري ومسلم وغيرها من كتب الحديث (٣٥).
  - اللغة: درس الشيخ عدة كتب في اللغة، منها: الشعراء الستة، ومقامات الحريري، والبردة والهمزية، والعشرينيات وغيرها من كتب اللغة. أما في النحو والصرف فقد درس كتاب الأجرومية وملحة الإعراب وقطر الندى وألفية بن معطي وألفية بن مالك ولامية الأفعال وغيرها من الكتب (٣٦).
- هذه هي بعض الكتب التي درسها الشيخ، ويتأمل هذه الكتب نهم أن الشيخ يساوي المعاهد العليا في العصر الحديث، وإن لم يكن لخريجها شهادة تشهد لهم مثل ما للدراسين المحدثين.

## الخاتمة

## الهوامش :

١. قدمت المقالة في الصفحات السابقة دراسة وجيزة عن إسهامات علماء برنو في نشر الثقافة العربية والإسلامية، حيث أكدت المقالة وجود علماء نابغين في العلم والمعرفة، أمثال: الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني الذي لعب دوراً هاماً في المجتمع البرناوي وجعل اللغة العربية مجيبة ومقدسة لكونها لغة الدين الإسلامي، والثقافة والتعليم والإرشاد وفي مجال التدريس، وأدرك المجتمع البرناوي أن اللغة العربية جزء من الإسلام لا يتجزأ، وأنه لا يمكن فهم الإسلام إلا بتذوق اللغة العربية ولا يتم تذوقها إلا بالوقوف التام على أسرارها وأدابها ولا يؤدي المسؤوليات الإسلامية وعلى وجهها الصحيح إلا باللغة العربية، وعلى الرغم من محاربة المستعمر الغاشم هذه اللغة واستبدالها باللغة الإنجليزية حيث أسس مدارس للتعليم على النظام الحديث، ولما رأى العلماء النظام الجديد الذي جاء به المستعمر في التعليم استعملوا بيوتهم ومساجدهم كمدارس لتعليم أبناء المسلمين اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ونتيجة ذلك وجدت اللغة العربية استغلالاً لتحقيق مصالحها فأصبحت لغة متطورة إذ بها تعلموا الكتابة والقراءة وأسهموا بالتدريس والتأليف، حتى أصبحت برنو- نيجيريا - مركزاً دينياً وثقافياً وعلمياً وأديبياً في السودان المغربي، وكان العلماء وطلبت العلم يقبلون عليها أفواجاً ويقتبسون من أنوارها في العلم والمعرفة.
٢. إبراهيم صالح الحسيني (الشيخ) - تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم برنو - الطبعة: مكتبة القاضي شريف كنو، نيجيريا عام ١٩٧٦م، ص: ٢١.
٣. محمد بلو - إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور - الطبعة: وزارة الأوقاف المصرية القاهرة سنة ١٩٦٤م - ص: ٤٥.
٤. فضل كلود الكور - الثقافة الإسلامية في العصر الذهبي لمملكة كانم - كلية الدعوة الإسلامية ليبيا عام ١٩٩٨م - ص: ٤٤.
٥. إبراهيم علي طرخان - إمبراطورية برنو الإسلامية - الطبعة: مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٨٥م، ص: ٥٠.
٦. حسن أحمد محمد (الدكتور) - الإسلام والثقافة العربية في افريقية - الطبعة الأولى (د.ت)، ص: ٢٥.
٧. محمد بلو - المصدر السابق - ص: ٢٤.
٨. عبد المجيد عابدين - أثر الإسلام ونشاط كانم برنو في افريقية - الخرطوم سنة ١٩٧٣م - ص: ٥٠.
٩. المصدر السابق - ص: ٥١.
١٠. إبراهيم صالح الحسيني (الشيخ) - تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم برنو - ص: ١٥.
١١. حسن أحمد محمد (الدكتور) - الإسلام والثقافة العربية في افريقية - ص: ٢٥.
١٢. آدم محمد جيريل (الدكتور) - دراسة تقابلية صوتية بين العربية الفصحى واللهجة العربية العامية النيجيرية - الطبعة الأولى، مطبعة الممتاز للنشر والتوزيع عام ٢٠١١م - ص: ٢٨.
١٣. المصدر السابق - ص: ٢٦.
١٤. علي أبوبكر (الدكتور) - الثقافة العربية في نيجيريا - الطبعة الأولى بيروت لبنان عام ١٩٧٣م - ص: ٩٣.
١٥. آدم عبدالله الإلوري - الإسلام في نيجيريا - الطبعة الثالثة دار المعارف بيروت لبنان عام ١٩٧٩م - ص: ٦٧.
١٦. أحمد عمر بشير - الحماسة الدينية في الشعر العربي البرناوي - بحث مقدم لنيل شهادة الليسانس قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة ميدغري عام ٢٠٠م - ص: ١٧.
١٧. Gouille. A: Islamic Sans L "Erique Occidentale" Paris ١٩٥٢، P: ٥٠.
١٨. المصدر السابق - ص: ١٥.
١٩. عبد الحميد شعيب أغاكا - مشاكل اللغة العربية لدى الطالب النيجيري - ديسمبر ١٩٨٢م - ص: ٤٣.
٢٠. فضل كلود الكور - الثقافة الإسلامية في العصر الذهبي لمملكة كانم - ص: ٢٢٠.
٢١. أحمد عمر بشير - مختارات من شعر الرثاء في ولاية برنو في القرن العشرين - دراسة تحليلية - بحث تكميلي مقدم لجامعة بايرو كانو

- للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها عام ٢٠٠٨م - ص: ٢٠.
٢٢. المصدر السابق - ص: ٢٢.
٢٣. دستور جماعة النهضة الإسلامية عام ١٩٨٢م - ص: ٦.
٢٤. محمد أحمد المؤذن - دور شباب النهضة في نشر الثقافة العربية في برنو - مطبوع عام ٢٠٠١م - ص: ٩.
٢٥. المصدر السابق - ص: ٩.
٢٦. المصدر السابق - ص: ٩.
٢٧. عمه أحمد خرسه - الشيخ الشريف إبراهيم صالح ومساهمته في نشر الثقافة الإسلامية عام ١٩٨٩م - ص: ٦١.
٢٨. إبراهيم صالح الحسيني (الشيخ) - السيرة الذاتية للشريف إبراهيم صالح - مخطوط - ص: ٩.
٢١. المصدر السابق - ص: ٣٥.
٢٢. عبد الرؤوف السيوطي عبد الرحمن - دور اللغة العربية في بناء مستقبل نيجيريا - بحث تكميلي قدم لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية لنيل شهادة الليسانس جامعة ميدغري ٢٠٠٧م - ص: ٦.
٢٣. إبراهيم صالح الحسيني (الشيخ) - الإستذكار لما لعلماء برنو من الأخبار والآثار - مخطوط - ص: ١١١.
٢٤. المصدر السابق - ص: ١١١.
٢٥. علي أوبوكر (الدكتور) - الثقافة العربية في نيجيريا - ص: ٤٢.
٢٦. المصدر السابق - ص: ٤٢.
٢٧. بشير عمر بشير - فن الرثاء في شعر الشيخ إبراهيم صالح الحسيني - بحث تكميلي لنيل شهادة الليسانس قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية جامعة ميدغري عام ٢٠٠٠م - ص: ١٥.
٢٨. المصدر السابق - ص: ٣٧.
٢٩. إبراهيم صالح الحسيني (الشيخ) - الإستذكار لما لعلماء برنو من الأخبار والآثار - ص: ٢٢٠.
٣٠. المصدر السابق - ص: ٢٥.
٣١. عبد الرحمن إدريس - فن المديح في شعر الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني - دراسة أدبية تحليلية، بحث تكميلي مقدم للحصول على شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها جامعة بايرو